

« يوم نشأ الطاعون في مدينتي

خرجت للعراء

مفتوحة الصدر الى السماء

اهتف من قرارة الإحزان بالرياح :

مبي وسوتي نحونا السحاب يا رياح .. »

وتلتقي بأجواء هذه القصيدة اجواء قصيدة « الى السيد المسيح في عيده » و« رسالة  
انى طفلين في الضفة الغربية » . ولكن الشاعرة تبدأ بتحولها بطيئا حيث تقدم الى شعراء  
الارض المحتلة قصيدة تعاهدهم فيها على ان لا تبكي بعد هذا اليوم :

« احبائي

مسحت عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية

لالقاكم وفي عيني نور الحب والايامن

.كم ، بالارض ، بالانسان

مواخجلي لو اتي جئت القاكم ، وجفني رامش مبلول

وقلبي يائس مخذول

.....

وما انتم كصخر جبالنا قوة

كزهر بلادنا الحلوة

مكيف الجرح يسحقني ؟

وكيف اليأس يسحقني ؟

وكيف امامكم ابكي ؟

بيننا ، بعد هذا اليوم لن ابكي» (٢٢)

ويجيء الانسان — الفدائي — في آخر الشوط . وتكتب فدوى طوقان قصيدتها « حمزة »  
و « خمس اغنيات للفدائيين » ، وهما من أنضج ما كتبه الشاعرة ، لا لانهما جاءتا في  
آخر الشوط ، فحسب ، بل لانهما ايضا ، خضعتا لتجربة صادقة ، كانت فدوى طوقان  
فيها تتعامل مع قضيتها لا بذاتية ضيقة ، بل بهاجس انساني عام . فهي بدأت تعرف  
كيف يكون المخاض الذي يهز الارض و ...

« كيف تكون رمشة الميلاد »

« .. وكيف يولد الاتاح

من الم الارض ، وكيف يبعث الصباح

من وردة الدماء» (٢٣)

لقد توصلت عبر تجربة الانسان — الفدائي ، والانسان الشهيد ، كيف هي جدلية الحركة ،  
وجدلية الحياة ، ووحدة النقيض حيث تتفجر نحو المستقبل ، فلنتابع هذه الرؤيا لولادة  
الاغنية :

« نأخذ اغنيانا

من قلبك الممذب المصهور

وتحت غمرة القتام والديجور

نعجنها بالنور والبخور

والحب والنذور

ننفخ فيها قوة الصوان ، والصخور

ثم نردما لقلبك النقي ، قلبك البلور